مسؤولية بريطانيا في حرمان الشعب الفلسطيني من تقرير مصيره

الدكتور عبداللطيف الطيباوي

استخلصت مادة هذا المقال ، الذي وضعته بالاصل في اللغة الانجليزية ، من الوثائق المحفوظة في « مكتب السجلات العامة » في لندن ، وهو يشتمل على الاوراق السرية لوزارة الخارجية ورئاسة الوزارة البريطانية ، والتي لم يفرج عنها الا منذ عهد قريب . وكذلك ، استخلصت من وثائق هذا المكتب مادة الفصول (٨ ــ ١٠) من كتابي : « تاريخ سوريا المعاصر بما فيها لبنان وفلسطين » (دار ماكميلان للنشر ، عام ١٩٦٩) ، كما اعتمدت على هذا المصدر ذاته في اعداد دراسة ستصدر قريبا حول « العلاقات العربية ــ البريطانية (١٩١٤ ــ ١٩٦١) مع تركيز خاص على فلسطين » . وارجو ان يكون هذا المقال والكتاب حول تاريخ سوريا المعاصر حافزا للباحثين والاساتذة العرب للاستفادة من هذا الكنز الدفين من الوثائق ، الزاخر بالمعلومات . ولا يفوت المرء ان يلاحظ ان هنالك العديد من الباحثين الامريكيين والاسرائيليين ينكبون على دراسة هذه الوثائق منقبين بين ركامها عما يتعلق بموضوع فلسطين ، بينما لا يكاد يوجد احد من الباحثين العرب يفعل ذلك .

[١]

كان عام ١٩١٧ عاما حاسما في تاريخ الحرب العالمية الاولى : ففي ذلك العام ، دخلت الولايات المتحدة الحرب الى جانب الحلفاء ، بينما انسحبت منها روسيا القيصرية نتيجة اشتعال الثورة البلشفية . وقد ساهم كلا هذين الحدثين في وضع نهاية سريعة لهذه الحرب وتفتح آمال عامة باقرار تسوية سلمية على أساس برنامج الرئيس الاميركي ويلسون « النقاط الاربع عشرة » ، كما حمل دخول اميركا الحرب وخروج روسيا منها في ثناياه سوء تفاهم عظيم بين العرب من جهة وبين كل من بريطانيا وفرنسا من جهة أخرى . فقد بادر حكام روسيا الجدد الى فضح اسرار اتفاقية سايكس ــ بيكو التي تقاسمت ، بمقتضاها ، بريطانيا وفرنسا الولايات العربية من ممتلكات الامبراطورية العثمانية وجعلتاها ضمن مناطق نفوذهما المباشر وغير المباشر ، اذ أحدث فضح أسرار هذه الاتفاقية فجيعة كبرى بين العرب الذين انتعشت مطامحهم لنيل استقلالهم الوطني اثر اعلان الرئيس الاميركي مبادىء الليبرالية ، كما ساهمت أفكار الرئيس ويلسون في تشذيب مخططات بريطانيا وفرنسا الاستعمارية ، وهما اللتان قبلتا ، على مضض ، مبدأي « حق تقرير المصير » و « موافقة المحكوم » عند النظر في بت اوضاع المناطق المستخلصة من العدو .